المشرق

خطبة لخميس الاسرار

بقلم القس شمس الرئاسة ابي البركات ابن كبر

نوطة

زرنا في اواخر آب من السنة ١٩٠٩ مكتبة البطريركيَّة القبطيَّة غير الكاثوليكيَّة في القاهرة فوجدنا في ناظرها أُنساً وتفقَّدنا ما في خزانتها من المخطوطات النصرانيَّة الدينية . فمن جملة ما كان هناك مجموعةٌ فيها خطب قديمة للاعياد السنوية بينها بعض الخطب لاحد مشاهير الكتبة الاقباط القس شمس الرئاسة ابي البركات بن كبر فاستحسنَّا لهجتها الفصيحة وانشاءها البليغ من جملتها هذه الخطبة لخميس الاسرار احببنا نشرها بنية الاعياد القصحيَّة . وقد وجدناها بعد ذلك في مجموع خطب طُبع الشَّماس حبيب جرجس سنة ١٩١٤ تحت عنوان الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة (ص ٨٩–٩٣) عثرنا فيها على بعض الاغلاط فاصلحناها

امَّا صاحب هذه الخطبة فيُدعى في صدر كتاباتهِ المخطوطة باسماء والقاب جليلة تدلُّ على تعظيم اهل زمانهِ لهُ فيسمُّونهُ « المولى الرئيس الشيخ والاب الفاضل القس رشيد المتطبِّب ابا البركات شمس الرئاسة ابا الشيخ الاكمل الاسعد المعروف بابن كُبَر » ويروى كِبْر . ولم نجد مع فخامة هذه الالقاب من يفيدنا شيئاً عن اخبارهِ في كلّ ما راجعنا من التآليف المطبوعة والمخطوطة . وغاية ما نعلم انه ازهر في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح . وكتب للامير يبرس المنصوري الدوادار الكبير وتعاطى الطبَّ وتوفيَّ سنة ١٣٦٣ . ولهُ في آخر بعض كتبهِ قولهُ :

اموتُ ويبقى كلُّ ما قد كتبتُهُ فيا ليتَ من يقرا كتابي دعا ليا
لعلَّ الهي ان يجود بعفوهِ ويغفرَ زلَّاتي وتُبحَ . فيمالِيا

واماَّ تآليفهُ المعروفة فقد وصفنا منها في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٧٦٠) كتابهُ المتون بمصباح الظلمة وايضاح المقدمة وهو من أجلّ الآثار الدينيَّة في الفقه الكنسيّ . وقد وصفنا كذلك لهُ كتاباً آخر (ص ٧٦١) اسمهُ « جلاء العقول في علم الاصول الملقَّب بكشف الاسرار الخفيَّة في اسباب المسيحيَّة » في ١٨ فصلاً تاريخ تأليفهِ سنة ١٣٣٦م . ولهُ ايضاً كتاب في تفنيد

القائلين بالسر والمُطلعين الحرية القدسة ١٣٣٣ . والف ايضاً خلاصة معتقد الشيعة وردودًا على اليهود والمسلمين . ومن تصانيفه في اللغة القبطية كتاب الفهم الكبير او السلم المفتوح وضعه سنة ١٣١٦ وضمنهُ مفردات اللغة القبطيَّة في عشرة ابواب و ٣٢ فصلاً مع شرحها في العربيَّة (*cfr* Mélanges de la Fac. Orientale, 1907. II. 260-266) ل . ش

خطبة لعيد خميس العهد

تتضمَّن تأسيس سرّ الشكر (١

المجدُ لله مجدّد شريعة الكمال ، ومبدّد زوبعة (٢ الضلال ، وموضح مناهج الفضل والإفضال ، ومرشد المؤمنين الى أصلح الاعمال ، ولابنهِ الوحيد يسوع المسيح الذي اخرجنا من ظلمات الطغيان ، واقبل بنا الى نور الحقّ والايمان ، واظهر لنا من غوامض الاسرار الالهيَّة ما كان مستورًا عن العيان ، وخوّلنا معشرَ المسيحيين ما لم يخطر بفكر انسان ، وبذل نفسهُ دوننا فابتاعنا بأنفس الاثمان ، ورفعنا من هوَّة الهلاك الى رتبة الحياة فيا لذلك من إحسان ، كيف لا وهو حبل الله الحقيقي الذي قدانا نحن الخطأة بدمهِ (يوحنَّا ١ : ٢٩) ، وأحيانا ببرتهِ عنًّا فيا لعظيم منّهِ ، وجدَّد لنا عربونًا لخلاصهِ على يدي رُسلهِ الاطهار رسمَ موتهِ وسُنَّة فِصحهِ . وأعطانا جسدهُ ودمهُ المقدَّسين علامةً لفُصحهِ (٣ ، ونقض حاجز العداوة الاولى بسلامهِ وصلحهِ ، وامرنا تجديدًا لعهدهِ ان نصنع كلّ وقتٍ تذكارًا لاسمهِ (لوقا ٢٢ : ١٩) الى حين موافاتهِ ، ومجيئهِ الثاني على سُحب سمائهِ في ألوف ملائكتهِ وقواتهِ (١ كور ١١ : ٢٦) ، حسب وعدهِ في انجيلهِ المجيد (متَّى ٢٦ : ٦٤) ، فلهُ التسبيح والتمجيد

معشر المسيحيين الذين وصلوا الى هذه المواهب ، وأخرجوا الى النور المشرق من ظُلَم الغياهب ، وحصلوا على موهبة العهد الجديد ، واشتروا بدم الابن الوحيد ، وصار لهم العُتق من عبوديَّة المحال ، والارتقاء الى اسنى المراتب واشرف المحال ، واشتركوا معهُ في النبوَّة الحقيقيَّة (٢ بطرس ١ : ٤) ، كما اشترك هو معهم في الطبيعة البشريَّة ،

---

١) وفي الطبعة المصريَّة « سرّ الشكر » وهو تصحيف قبيح . واراد بسرّ الشكر القربان الاقدس كأنه تعريب اللفظة اليونانيَّة « افخارستيا » ٢) وفي الطبعة المصريَّة « ذريعة »
٣) وفيها « لفصحهِ »

واتصلوا بالذات العالية الالهية، باتصاله سبحانهُ بالجبلّة الآدمية

هـذا يومٌ جُدّدت فيهِ العهود، يومٌ أذهَب فيهِ رسمُ الفِصح السِّدي حُكمَ فصح اليهود، يومٌ كمّل الربّ فيهِ السنة الاولى العدليّة، وابتدأ بوضع السنة الثانية الفضليّة، يوم أُبطل فيهِ فصح الذبائح والضحايا، وجعل فِصحنا جسدهُ الذي بذلهُ لمغفرة الخطايا، يومٌ لزال فيهِ قُتار اللحوم والدماء الحَيَوانيّة، وأعطانا بجسدهِ ودمهِ القرابين الروحانيّة، اليوم سنّ لنا ربُّ المجد تقريب الخبز والخمر الذكيّ (١، واغنانا عن دماء الجدَاء والعجول بذبحهِ الزكيّ، مشيراً بالخبز الى انهُ خبز الحياة الذي يُشبع الجياع، وبالخمر الى انهُ كرمةُ الحقّ المتعالية عن ملابسة الازدراع، اليوم عوّضنا عن فطير المرارة والشرارة، خميرَ المحبّة والطهارة (٢، اليوم سلّم الينا النواميس العقليّة، بواسطة الامور الحسيّة، وجعل الكثيف، وسيطاً للّطيف، للاءمتهِ للأبدان الانسيّة، اليوم سلّم رئيس الاحبار خدمة الوظيفة الجبريّة الى الزمرة الحواريّة، اليوم تولّى الربّ بنفسهِ خدمة رُسلهِ، وتنازل الى ارجلهم (٣ يغسلهِ، واراهم مثالاً ليقتدوا بفعلهِ، ويفعلوا كمثلهِ،

فيا لهذا التفضُّل الذي تقصر الالسن عن صفاتهِ، ويا لهذا التواضع الذي بلغ من التدبير السعيد اقصى غاياتهِ، يا لهُ من تحنّن ما اعظمَهُ، ويا لهُ من سيّد على العبيد ما اكرمَهُ، ويا لهُ من مسلك الى الحياة ما أقوَمَهُ

ما اعظمَ هذه الفضيلة التي رسمها لتتّخذها مثالاً، وما اعظم التواضع الذي امر بهِ مقالاً، واكملهُ (٤ فعالاً، واذا كان هذا فِعلَ ربّ المجد جلّت قدرتهُ، وتعالت عظمتهُ، فكم بالحري يجب علينا ان نبذل الودّ لاخوتنا، والتواضع مع ابناء طبيعتنا (يوحنّا ١٣: ١٤)، وما عسانا نفعلهُ ونحنُ المقصّرون، او ننتهي الى بلوغهِ في هذا السبيل ونحن السالكون، فلو شربنا الامواه التي تُغسَل بها الاقدام، وجعلنا دأبنا ذلك على الدوام، وبسطنا الخدود لمن يطأها، وبذلنا الوجوهُ لمن يلطمها ويتخطّاها، لمَا بلغنا في ذلك المقصود، ولا ما نلنا سيّدنا لهُ المجد في الفضل والجود،

---

١) وفي الطبعة المصريّة الزكيّ بالراي

٢) في هذا اشارة الى استحضار القربان في الكنيسة القبطيّة على شكل الخمير. وفي رسائل مار بولس ما يدلّ على فضل الفطير (١ كور ٥: ٧-٨) ٣) في النسخة المصريّة: تناول ارجلهم

٤) وفيها «وكمّلهُ»

فهلمّوا أيها الاخوة لنتأمل افعال الرب في هذا العيد ، ونتصفّح اعمالهُ المجيدة في مثل هذا اليوم السعيد، ونتفهّم ما ارادهُ من سلوكنا في سُبُلهِ، واقتفائنا لمثلهِ (١ ، بحسب امكان طاقتنا، ومقدار وُسع قُدرتنا، ونجعل التواضع لنا مسلكاً ومنهاجاً ، والمحبّة في سُبلنا نوراً وسراجاً، ولتغسل قلوب اخوتنا بماء المودّة، ولتكن الرحمة اليهم دائماً مصروفةً مستعدّة، لكي نرحض من البواطن دَرَنَ افكارها، ونزيل من الضمائر غلّ اسرارها، ونحظى بسعادة هذا الشبه والمثال، وننال ما وُعدنا بهِ من شرف المنال، ولنجتهد في تقويم سُبُلنا، واصلاح قولنا وعملنا، والاقلاع عن خطايانا وزللنا، ولننزع عن مناكبنا جلابيبَ الكبرياء، واردية التعاظم والرياء، ونشدّ اوساطنا بمناطق البرائم، ومناديل الاقلاع عن المآثم، ونصبّ مياه الرحمة في مَطاهر اكفّ المحتاجين ، ونبادر بالتفتيش عن المتضايقين ، ونجدّد شعار التوبة البريئة من الشبهات ، العريّة من الشهوات، النقيّة من معاودة الهفوات ، كما جدّد لنا ربُّنا شرائع ناموسهِ، وأعلمنا وظائف تسبيحهِ وتقديسهِ،

ولنتأهّب لتناول هذه الاسرار (٢ الروحانيّة ، مستعدّين بملء القلب وكلّ النيّة ، ولا نَدنُ من هذه المائدة البريّة السريّة ، والوليمة الشريفة الالهيّة ، ونحن ملوّثون باوساخ الخطيّة ، او مشتغلون بالافكار الدنيّة الدنيويّة ، او مُضمرون لاخوتنا بل ولأعدائنا عداوةً ولا بغضاً، او مُكرمون بعضاً ومُهينون بعضاً ، او راغبون في الشرّه او حبّ المال ، او عاملون بشيء من هذه الاعمال، لئلّا يُصيبنا ما اصاب يهوذا الدافع ، ونُحرَم ما حواهُ هذا الدواء الروحاني من جزيل الفوائد والمنافع، ولا نقتصر على عدم الانتفاع بهِ فقط بل ونجلب على نفوسنا ضرراً عظيماً مقدارهُ، وشجباً شديداً اوزارهُ وعذاباً أليماً دودهُ وناره ، ودينونةً مهلكةً لنفوسنا واجسادنا ، ونارًا محرقة بكرة ميلادنا ، بل لنجتهد في اصلاح البواطن والظواهر، وتنقية الخواطر والضمائر، وتطهير السرائر قبل تناول السرائر، ونبذل لبعضنا بعضاً المحبّة الصادقة، ونذبح نفوسنا ذبيحةً ناطقة ، ونتقدّم بعد ذلك لتناول جسد ربّنا ودمهُ المقدّسين بواسطة كهنتهِ ، وطلباتهم المقبولة امام رحمتهِ، راجين بهِ مغفرة الآثام السالفة، وشركتهُ في الحياة المستأنفة، فنحصل على الخيرات العتيدة ، والصلات

(١ وفي النسخة المصريّة «لطاعته» وفي النسخة السريانيّة «لمثله» وهذه الصلات

المفيدة، اعاننا الله واياكم على الاعمال المبرورة والمساعي المشكورة، والاخلاق الحميدة، والمناهج السديدة، وبلّغكم امثال هذا اليوم سنين عديدة واعواماً مديدة، مغفورة لكم الذنوب والآثام، مخصوصين من سعادة الدارَين باجزل الأقسام (١ ، بشفاعة الرسل الاطهار الذين عهدوا الينا هذه الوصايا، واقتادونا الى مغفرة الخطايا، واستحقُّوا ان ينالوا عظم هذه العطايا، بصلوات ابينا ورئيسنا المؤتمن على خلافتهم، المرتقي الى رتبتهم المخصوص بوراثتهم، الجالس على الكرسي المرقصي، الحاكم على الشعب الرسولي الداني والقصيّ، البابا انبا فلان (٢ ادام الله تدبيرهُ، ورفع في اعلى الملكوت سريرهُ، وجمّل ببقائهِ الاعياد المسيحيَّة، والمواسم الفصحيَّة، ورحم بصلواتهِ ابناءه المعموديَّة، امين

ميمر في عيد الفصح

منسوب الى القديس يوحنا فم الذهب

تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكيّ

توطئة

بين المخطوطات التي سبق لنا وصفها في جملة ميامر التقديسين ومواعظهم (المشرق ٨ [١٩٠٥]: ٤٢٥ و٤٧١) مجموعان قديمان يشتملان على خطب للاباء التقديسين تُقرأ في اخصّ الاعياد المسيحيَّة. وفي كليهما ميمر في عيد الفصح ينسب الى القديس يوحنا فم الذهب وهو معرَّب بقلم عبدالله بن الفضل الانطاكي من كتبة القرن الحادي عشر للمسيح (المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٨٨٦ و٩٤٤). وهو كما ترى اثر نفيس يحسن بنا نشرهُ. وكفى بهِ شأناً انَّ الكنيسة الملكيَّة اصطفتهُ ليكرَّر على مسامع المؤمنين في ذاك العيد الجليل. ولقد راجعنا اعمال القديس يوحنا فم الذهب اليونانيَّة فوجدناهُ هناك في مجموعات آباء اليونان لمين (PP. GG., L, 821-824) الّا انهُ مدرج في جملة ما لم تثبت نسبتهُ الى القديس بين التآليف المشكوك فيها لولا انَّ متولّي طبعها لا يؤيّد قولهُ ببرهان صريح وعلى كل حال انَّ وجودهُ في العربيَّة منذ نحو ٩٠٠ سنة منسوباً الى ذاك الملفان العظيم يدفعنا الى نشرهِ في عيدنا الحاضر لئلّا تأخذهُ يد الضياع. وبين النسختين اللتين نقلنا منهما اختلاف قليل لم نرَ موجباً للاشارة اليه الّا في بعض المواضع ل. ش

١) وفي النسخة المصريَّة «باجذل» بالذال ٢) في النسخة المصريَّة «انبا كيرلّس» اراد بهِ البطريرك الحالي. ولفظة البابا شاعت قديماً في الكنيسة الاسكندريَّة بمعنى البطريرك